# المتين

من أسماء الله الحُسنى المتين .

وقبل أن أمضي في الحديث عن هذا الاسم الجليل أريد أن أُنوِّه إلى أنَّ النبيَّ عليه الصلاة والسلام حينما كانت تنزل النوازل كان يقول : لا إله إلا الله العلي العظيم ، لا إله إلا الله الحليم الكريم .

ماذا نفهم من هذا الثناء الذي هو في معرض الدعاء ، فالثناء دعاء :

أأذكر حاجتي أم قد كفاني حياؤك إن شيمتك الحياء
إذا أثنى عليك المرء يوماً كفاه من تعرضه الثناء

وحينما كان سيدنا يونس في بطن الحوت نادى في الظلمات قائلاً : ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ . . قال تعالى : ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ . . فالثناء دعاء . . وذلك ورد في الآيتين الكريمتين :

﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء : ٨٧ـ٨٨] .

فالنبي عليه الصلاة والسلام حينما كانت تشتدُّ به الأمور يقول :

عَنِ الْحَارِثِ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **أَلا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ إِذَا قُلْتَهُنَّ غَفَرَ اللهُ لَكَ وَإِنْ كُنْتَ مَغْفُوراً لَكَ ؟ قَالَ قُلْ : لا إِلَهَ إِلا اللهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ، لا إِلَهَ إِلا اللهُ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ ، لا إِلَهَ إِلا اللهُ سُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ** » [سنن الترمذي] .

ماذا يعني هذا الدعاء ؟ يعني شيئين . . التوحيد والتسبيح ، أي أنَّ أمرك بيد جهة واحدة وهذه الجهة كاملة ، هل من حقيقة تُلقَى على نفس الإنسان أشدُّ طمأنة له من هذه الحقيقة ، أمرك كلُّه بيد الله ولا يستطيع أحدٌ غير الله أن يتدخَّل في أمرك مع الله ، والله ـ سبحانه وتعالى ـ صاحب الأسماء الحُسنى والصفات الفُضلى ، رحمن رحيم ، عليٌّ عظيم ، حليمٌ كريم ، فنحن إذا عرفنا الله وصلنا إلى كلِّ شيء .

للإمام عليٍّ ـ كرَّم الله وجهه ـ قولٌ رائع ، يقول : « **أصل الدين معرفته** » .

أيْ معرفة الله سبحانه وتعالى .

الذي أتمنَّى على الإخوة المؤمنين أن يعقلوا أنَّ النبي ﷺ حينما دعا الناس إلى الله بماذا بدأ ؟ بدأ بتعريف الناس بالله ثلاث عشرة سنة وهو يعرِّفهم الله ، أما حينما انتقل إلى المدينة فهنالك نزلت آيات التشريع ، الطريق الطبيعي أنَّك إذا عرفت الله تشعر باندفاع قوي إلى طاعته ، إلى التقرُّب إليه ، إلى الأعمال الصالحة التي ترضيه ، إلى معرفة منهجه ، إلى معرفة أمره ونهيه ، أما حينما تضعف معرفتك بالله عزَّ وجلَّ فإنك تتحايل لأنك لا تجد رغبةً في طاعته ، لا تجد رغبةً في الانصياع لأمره . . إذاً أيَّةُ دعوةٍ معاصرة إن لم تسلك طريقة النبيّ عليه

الصلاة والسلام في الدعوة إلى ربِّه لا تنجح .

فلذلك كنت أقول دائماً : إنَّ الإنسان إذا عرف الأمر الموجه إليه من الله ، ولم يعرف الآمر وهو الله ، تفنن في التفلُّت من أمر الله ، تفنن بالحيل الشرعية ، بالتقصير ، بدعوى الصعوبة ، وبدعوى الاستحالة ، وبدعوى أن الأوامر فوق طاقة الإنسان ، وبدعوى البلوى العامة ، فهناك كثير من الدعاوي تطرح للتفلُّت من طاعة الله لا لسببٍ وجيه بل لأنَّ الإنسان عرف الأمر ولم يعرف الآمر ، أما حينما نعرف الآمر قبل الأمر فإننا نتفانى في طاعته .

وهذا الذي حملني على دراسة أسماء الله الحُسنى ومعالجتها وبيان تفاصيلها وآثارها . . إنه من أجل أن نعرف الله سبحانه ، لأننا إذا عرفناه أطعناه ، وإذا عرفناه بذلنا من أجله الغالي والرخيص ، والنفس والنفيس ، أما إذا ضعُفت معرفتنا به فإننا نبحث عن الحيل الشرعيّة وعن الفتاوى الضعيفة ، وعن الرُّخص ، وعن الخلافيَّات ، ونبحث عن الأعذار الواهية ، وعن كل ما من شأنه أن يغطي انحرافنا وتقصيرنا .

فلذلك من أَوجَهِ الأبحاث التي ينبغي أن نتفهمها ونتوقف عندها مليًّا أسماء الله الحُسنى ، وفي الحقيقة إنّ العلم ميسَّر إلى درجة كبيرة ، فمن الممكن أن نقتني هذه الأشرطة التي تناولت الأسماء الحسنى أو أن نستعيرها لنعود إلى الأبحاث السابقة كلِّها ، ولو أنَّ الإنسان خصص من وقته كل يوم وقتاً لسماع شريط واحد ، وعاد إلى سماع أسماء الله الحُسنى اسماً اسماً ، لاستفاد كثيراً من خصائص هذه الأسماء ، ولتذكر الكثير من مضامينها .

إنني على ثقة من أنَّ الإنسان إذا نمت معرفته بالله عزَّ وجلَّ يرى

نفسه منضبطاً ، يرى نفسه سوياً في السلوك والتطبيق ، ويرى نفسه مع الله وقريباً منه عزَّ وجلَّ ، لأنَّ أصل الدين معرفة الله عزَّ وجلَّ ، وإذا عرفت أنَّ الله لا إله إلا هو وعرفت أنَّ أسماءَهُ حُسنى ، وأنَّ أمرك بيده وحده فقد انتهى الأمر بك إلى وضوح منهجك واستقامة سبيلك ، إذاً فلتعلم ؛ قال تعالى :

﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الزمر : ٦٢] .

وقال أيضاً :

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف : ٥٤] .

﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ . . ﴿ لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ . . لو أنَّ الله عزَّ وجلَّ قال : الخلق له ، أو لو أنَّه قال : نعبد إيَّاك ولو أنَّه قال : مفاتح الغيب عنده لكان هناك بعدٌ في المعنى عن معنى الآيات الحقيقي وهو بُعدٌ فيه خلل كثير في أداء المعنى ، فماذا نستنبط من قوله تعالى : وعنده مفاتح الغيب ، إيَّاك نعبد ، له الخلق ؟ .

إذا قلنا : الخلق له . . لا يمنع من أن يكون لغيره أيضاً ، إذا قلنا : مفاتيح الغيب عنده ، لا يمنع أن تكون عنده وعند غيره ، إذا قلنا نعبد إيَّاك لا يمنع أن نعبد غيرك ، أما إذا عكسناها وقلنا : إيَّاك نعبد ، وعنده مفاتيح الغيب ، له الخلق . . أي إيَّاك نعبد وحدك يارب ، وعندك المفاتيح وحدك يارب ، ولك الأمر وحدك يا رب ، ولك الخلق وحده ، فتقديم الخبر إذا كان شبه جملة على المبتدأ يعني الحصر والقصر .

إذاً نحن حينما نبحث في أسماء الله الحُسنى نريد من هذه الأسماء أن تزيدنا معرفةً بالله عزَّ وجلَّ ، وإذا عرفنا أنَّ الله هو الفعَّال وهو الكامل انتهى الأمر وضوحاً وجلاءً ، فأمرنا بيده وهو ـ وحده ـ يفعل ما يشاء ، ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وهو كاملٌ كمالاً مطلقاً . . ومن ثَمَّ ما عليك إلا أن تتحرَّك في المهمَّة التي أُنيطت بك وهي كما قال تعالى :

﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [الزمر : ٦٦] .

الآية الكريمة قال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [الزمر : ٦٥ـ٦٦] .

﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ﴾ أي إنَّ هذه سنَّة الله في خلقه ، إنَّ هذه حقيقةٌ قديمة ، وهي حقيقةٌ مستمرَّة .

﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ . . ما معنى إحباط العمل ؟ إمّا أن يسقط من حيث القيمة ، وإما أن يسقط من حيث النوعيَّة . . فلو افترضنا أن إنساناً يعبد المال من دون الله ، أشرك المال في حبِّه مع الله فكيف يحبط عمله ؟ قد يجد أنَّ أكثر المشاريع ربحاً هي الملاهي فيقوم بإنشاء ملهى ، والأرباح طائلة ولكنَّه مبني على معاصي الله ، كيف يحبط العمل ؟ حينما تعبد المالَ من دون الله وتجعله إلهك كما قال الله عزَّ وجلَّ :

﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الجاثية : ٢٣] .

﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ . . عندئذٍ تبحث عن عمل مربح ، وقد

تجد بعض الأعمال الساقطة المنحرفة التي تُبنى على إفساد المجتمع هي أربح المشاريع ، إذاً . . ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ . . وقد يكون العمل في ظاهره راقياً ، إلا أنَّ النيات ليست تعبُّداً لله عزَّ وجلَّ بل النيات من المكاسب الماديَّة ، كما لو أنشأت مشفى وكانت الغاية المردود المادي لا مساعدة المرضى ، إذاً فإحباط العمل من حيث النوع . . إنشاء ملهى مثلاً .

وأمّا إحباط العمل من حيث القيمة . . إنشاء مشفى ولكن الهدف مادي محض ، لذلك قد تجد من التصرُّفات الماديَّة ما يتقزز منها الإنسان ويؤول أمرها إلى أن يحبط العمل ، والعمل يسقط ويتهاوى .

فالعمل إمّا أن يكون له شكل إنساني فتسقط قيمته لأنَّ المادَّة من ورائه ، وإما أن يكون له شكل منحط ساقط ، وعلى كلٍّ فالمشرك يسقط عمله ، أياً كانت قيمته أو نوعيته : ورد في الأثر : يا قُبيس إنَّ لك قريناً يُدفن معك وهو حي وتدفن معه وأنت ميِّت ، فإن كان كريماً أكرمك ، وإن كان لئيماً أسلمك ألا وهو عملك ، تقول له : من أنت ؟!! فيجيبك : عملك . . أما هذا الجسم فيفنى ، والطعام الذي أكلته يفنى ، البيت الذي سكنته تغادره ، الأهل الذين عشت معهم تتركهم ، المال الذي كان في حوزتك لا تستطيع أن تحافظ عليه بعد الموت . . لذلك ماذا يبقى لك ؟ عملك ، وعملك أساسه العلم .

نرجع إلى الأفكار المضغوطة . . . الدين أن تعرف الله ، وأن تعمل صالحاً في سبيله تقرُّباً إليه ، فلذلك لا يمكن أن يصلح العمل إن لم تصلح العقيدة ، والعقيدة أساسها العلم .

نعود إلى اسم الله المتين . . أصل المادة في اللغة يدلُّ على صلابةٍ

في الشيء ، فقد لفت نظري ذات مرَّة قوله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ [الذاريات : ٥٨] .

وهناك آية فيها :

﴿ وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴾ [القلم : ٤٥] .

في العلوم الحديثة . . الحبال التي تقاوم قوى الشد تسمَّى متينة ، وأمتن عنصر في الأرض هو الفولاذ المجدول ـ المضفور ـ فهو متين لذلك ترفع به المصاعد ، وتعلَّق عليه الغرف المتحرِّكة التي تسير بين الجبال ـ التليفريك ـ لمتانته ، فهو يقاوم قوى الشد ، إنّ الشيء القاسي يقاوم قوى الضغط وأقسى شيء هو عنصر الماس ، وبعده ميناء الأسنان ، فالقساوة مقاومة قوى الضغط ، والمتانة مقاومة قوى الشد ، فما الحكمة من قول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴾ ؟ أي كأنَّ الإنسان مربوط بحبلٍ متين لا يمكن أن يُتفلَّت منه مهما تحرَّك ، مهما قوي ، مهما ذاع صيته ، أو كثر ماله ، مهما تألقت صحَّته ، إنَّه مربوطٌ بحبلٍ متين ففي أيَّة لحظةٍ يشدُّ الله الحبل ، فالإنسان إذاً في قبضة الله عزَّ وجلَّ .

وأذكِّر بما ذكرته من قبل أنَّ هناك دعاءً للنبي عليه الصلاة والسلام بليغاً ، كان عليه الصلاة والسلام يدعو ويقول :

« **اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ** » [صحيح مسلم] .

تجد أشخاصاً كثيرين أحدهم مثلاً في تمام صحَّته فجأةً يشعر بشيء ينمو نمواً طارئاً وغير عادي ، يسارع إلى الطبيب فيجد هذا الشيء ورماً ، فهل يا ترى هذا الورم خبيث أم حميد ، فيحلل فتظهر النتيجة

أنَّه ورم خبيث في أماكن مميتة بلا سبب .

فالإنسان تحت رحمة الله عزَّ وجلَّ فإذا لم يكن مصطلحاً معه ومطيعاً له ، ومنيباً ، ومقبلاً ، ومخلصاً ، ومشتاقاً ، ويقدِّم من الأعمال الصالحة ما تمكِّنه عند الله فمشكلته مع الله خطيرة .

إذاً : أصل المادة في اللغة يدلُّ على صلابةٍ في الشيء مع امتدادٍ وطول . . . صلابة مع امتدادٍ وطول . . فيمكن لسنتيمترٍ مكعبٍ واحدٍ من الإسمنت أن يحمل تقريباً في الحالات الخاصة خمسمئة كيلو غرام ، أما على قوى الشد فلا يتحمَّل أكثر من خمسة كيلو غرامات شداً ، فالإسمنت ضعيفٌ على الشد ويحتاج لذلك إلى تسليح ، أما على الضغط فهو قاسٍ ويتحمَّل ضغوطاً عالية جداً ، إذاً فلا بدَّ من إسمنتٍ مسلَّح ، فالحديد ضمن الإسمنت ليقاوم قوى الشد ، والإسمنت نفسه ليقاوم قوى الضغط ، هذا معنى من معاني قول الله عزَّ وجلَّ : ﴿إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾ . . أي أنَّ كل واحدٍ منا شاء أم أبى في قبضة الله دائماً ، شعر أم لم يشعر ، أحسَّ أم لم يُحس ، أدرك أم لم يدرك . . ﴿إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾ . . والمَتْنُ ما صلب من الأرض وارتفع .

المتن : المنطقة الصُّلبة في الأرض المرتفعة ، نقول : أرضٌ متينة ، والمُماتنة : المباعدة في الغاية . . أي أنَّ هدفه بعيد ، تشعر أن المتين الشيء الممتد الطويل مع الإحكام ، ومع القوة ، ومع المتانة ، وسار سيراً مماتِناً أي شديداً وبعيداً .

والمتين على وزن فَعيل . . اسم فاعلٍ مبالَغٌ به مشتقٌّ من المتانة ، وهي شدَّة الشيء واستحكامه وصلابته .

أحياناً من الممكن أن تضع في بناء عشرة أطنان من الحديد ، أو

تضع خمسة أطنان منه أو ثلاثة أطنان ، فإذا كان بداخله شوائب فَحْميَّة مثلاً لا يصبح متيناً فيضاعفون الكميَّة ، أما إذا كان خالياً من الشوائب الفحمية فالحديد متين ، ويكفي أقل كمية ممكنة منه وحسب التصميم لتوضع في البناء ، فإذا لم يتقن الإنسان عمله وأنتج حديداً غير متين وغير متقن وبه شوائب ، فيكلِّف البناءُ ثلاثة أضعاف ثمن الحديد حتى يطمئن المهندس إلى قوة البناء ، وقد حَمَّل صاحب البناء ثلاثة أمثال الثمن لعدم متانة الحديد ، وأذكِّر بأن إتقان العمل جزءٌ أساسيٌّ من الدّين ، وقال عليه الصلاة والسلام : « **إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه** » [رواه البيهقي من حديث عائشة] .

إذن : إتقان العمل جزءٌ من الدِّين .

اليوم تذاكرتُ مع صديق لي وجودَ كسادٍ عند بعض الحرفيين ، وتوقف أعمالهم أحياناً ، قلت : فأما المتقن فعمله لا يتوقَّف ، فكل حرفة لها درجات ومستويات ، فتجد شخصاً من الدرجة الأولى ، أو الثانية ، أو الرابعة ، أو الخامسة . . وهكذا . . فالذي في الدرجة الأولى لا يتوقَّف عن العمل إطلاقاً لأنَّ الطلبات عليه أشد وأكثر من الوقت المتاح له ، وكلما تدنّت درجة الإتقان فكساد عمله أكثر والطلب عليه قليل ويعاني عندئذٍ من بطالة ، يشتغل أسبوعاً ويتوقَّف شهراً ، فهذه بطالة مقنَّعة ، وعندئذٍ دخله لا يكفيه ، وهذه قاعدة . . فإتقاننا للعمل هو الذي يسبب التفوُّق ، وأنت دقق النظر في الأمر فهذه سنَّة الله في خلقه ، وأينما ذهبت فالمتقن متفوِّق ويعمل عملاً مستمراً ، والمتقن دخله كبير وفي بحبوحة ، فالإتقان سبب من أسباب زيادة الرزق .

وبالمناسبة.. فإنّ أهم موضوع بعد حياة الإنسان هو رزقه ، فهناك أولويَّات للإنسان.. فأول شيء سلامته ، فإذا كان صحيحاً من كلِّ الأمراض فقد حقق السلامة ، وبعد السلامة الرزق ، والإنسان إذا أيقن أنَّ الله سبحانه وتعالى لا يسمح لمخلوقٍ أن يتدخَّل في شأن الحياة والرزق اطمأنَّ قلبه ، فهذه الروح التي أودعها الله في الإنسان لا يمكن لمخلوقٍ كائنٍ من كان أن ينزعها منه ، أما إذا بدا لك بالعين المجرَّدة أنَّ فلاناً قتل فلاناً فالمقتول قُتل في أجله ، ففي علم العقيدة : المقتول يقتل في ساعة أجله لا في أجلٍ قبل ساعة أجله ، فأمر الحياة منوطٌ بالله عزَّ وجلَّ ، وأمر الرزق منوط بالله عزَّ وجلَّ .

أخطر شيء بوجودك حياتُك ورزقُك ، فالحياة والرزق أمران مقطوع قضاء الله فيهما عن أن يتسلَّمهما إنسان ، ولو بدا لك أنَّ هذا الإنسان قويٌّ أو أمره نافذ ، ولو بدا لك أنَّه يفعل ما يريد ، إلا أنَّ الحقيقة أنّ أمر الحياة وأمر الرزق لم يُتح لمخلوقٍ أن يتسلَّمهما أو يتصرف فيهما ، فلهذا قالوا : كلمة الحقِّ لا تقطع رزقاً ولا تقرِّب أجلاً .

وبعد فإنّ المتين كما قلنا قبل قليل : مُشتقٌّ من المتانة وهي شدَّة الشيء واستحكامه وصلابته ، وقيل : المتين هو الشديد ، يقال : هو متين القِوى أي شديد القِوى .

ومن المجاز أن نقول : رأيٌ متين ، خطبةٌ متينة ، مقالةٌ متينة أي متماسكة ، فقد يكون الأسلوب قوياً فيُقال لك : التراكيب متينة ، أي مشدودة ، متراصة ، محكمة ، فتشعر بتركيب قوي ، وأحياناً تجد التركيب ضعيفاً مهلهلاً غير محكم ، وهذا استخدام مجازي للمتانة.. ومن المجاز رأيٌ متين .

وقيل : المتين بمعنى القوي ، فهو على ما يشاء قدير .

إذا قلنا : إنَّ الله قويٌّ متين . . أي لا يحتاج في إمضاء حكمه إلى جندٍ أو مدد ، ولا إلى معينٍ أو عضد . . ولا إلى من يسانده . . لأنَّ الله سبحانه وتعالى قويٌّ بذاته ، متينٌ بذاته .

وبالمناسبة . . فالإنسان يحب القوي ويلتفت إليه ، فالله سبحانه وتعالى صاحب الأسماء الحُسنى ، فمن القوة قوي ، ومن الغنى غني ، ومن الحكمة حكيم ، ومن الرحمة رحيم ، ومن اللطف لطيف ، فكلَّما اشتدَّت معرفتك بأسماء الله الحُسنى اشتدَّ حبُّك له ، ورد : « أرجحكم عقلاً أشدُّكم لله حباً » .

الآن . . ماذا يعني أن نعرف أنَّ الله قويٌّ متين ؟ قال العلماء : إذا عرفت أنَّ الله قويٌّ متين وأنَّ الأمر كلَّه بيده قطعت الرجاء عمن سواه ، فانظر إلى الذي يهلك الناس ؟ الناس يحتاجون بعضهم إلى بعض ، فيقفون على أبواب اللئام ، فقد سُئل الإمام علي كرَّم الله وجهه : ما الذل ؟ قال : أن يقف الكريم بباب اللئيم ثم يردُّه .

والإمام علي كرَّم الله وجهه يقول مرةً ثانية : « **والله والله مرَّتين لحفر بئرين بإبرتين ، وكنس أرض الحجاز في يومٍ عاصفٍ بريشتين ، ونقل بحرين زاخرين بمنخلين ، وغسل عبدين أسودين حتى يصيرا أبيضين ، أهون عليَّ من طلب حاجةٍ من لئيمٍ لوفاء دين** » .

ولئن عرف الإنسانُ : أنَّ الله هو القوي . . فلسوف تتبدد أمام ناظريه كل العقبات . ومعنى القوة واسع فسيح ؛ فالقوة لله جميعاً ، حتى القوة في الجمال ، والقوة في العطاء ، والقوة في العلم ، وحتى القوة في الحكمة ، فأعلى الصفات المتعلِّقة بأسماء الله الحُسنى قد

توصف بالقوة.. فحينما تعلم علم اليقين أنَّ الله قويٌّ متين تقطع الرجاء من غيره .

والحقيقة المرة... أن يرجو الإنسان غير الله فالطريق عندئذٍ إلى الله مسدود ، وأحياناً لحكمة بالغة ما دامت هناك منافذ أرضيّة فالطريق إلى الله مسدود ، ومتى تلتجىء إليه ؟ حينما تغلق الأبواب كلُّها ، فأحياناً يطرق الإنسان أول باب فيجده مغلقاً ، والثاني كذلك مغلقاً ، والثالث والرابع مغلقين فيضجر ، عندئذٍ لا يجد إلا الله ملجأً له ، فهو إذا كان عاقلاً فمنذ البداية يجب أن يعلم انَّه لا إله إلا الله.. لكن بسبب ضعف الإيمان في قلبه ، وضعف التوحيد في عقيدته يتجه إلى زيد وإلى عبيد ، وإلى فلان أو علاَّن فيجد أن الطرق جميعها مغلقة ، فيخيب ظنُّه بالناس جميعاً ، فيلجأ بعد ذلك إلى الله .

تُروى قصة فيها موعظة في أيام العهد العثماني.. عن إنسان في دمشق افتقر الافتقار الشديد ، فضاقت به السُّبُل ولم يجد قوت يومه ، وكان له قريب يعمل في منصب رفيع جداً لدى السلطان العثماني في عاصمة الخلافة العثمانية إستانبول ، فخطر في نفسه أن يذهب إليه ليعمل هناك في وظيفة معيَّنة فتحل بذلك مشكلته ، فذهب إلى إستانبول ودخل على قريبه فرحَّب به ، وكتب قريبه استدعاء إلى السلطان لتعيين هذا القريب في منصب جيِّد ، وكلما دخل على السلطان يرى هذا الاستدعاء غير ممهورٍ بخاتم السلطان فيضعه على أعلى الأوراق فيفاجأ بعدم توقيع السلطان له ، لأكثر من أسبوعين وهو ينتظر ، وكان يبدو أنَّ هذا الموظف الكبير على شيء قليل من التوحيد وسلامة الاعتقاد ، فذهب إلى قريبه وتجهَّم عليه وأسمعه كلاماً قاسياً ، وأن الضيافة ثلاثة أيام لا مثل هذه المدة فكفاك هذا واذهب

عنا.. فحينما سمع الضيف هذا الكلام القاسي ، وهذا الطرد البشع ، خرج من بيت قريبه هائماً على وجهه وهو يبكي فقد كان هذا القريب أمله الأخير.. لكنَّ هذا القريب أرسل وراءه خادماً يتبعه ليعرف أين سيذهب ، فذهب إلى خان ـ فندق ـ ولكن المفاجأة أنَّ السلطان في اليوم التالي وافق على المعاملة المقدَّمة ووقَّع عليها ، فاستدعاه وأبلغه النتيجة بأن قضيَّته قد حُلَّت .

وتفسيرها أن كل هذه الأيام كان هذا الضيف الذي أتى من الشام يعلِّق الآمال كلَّها على قريبه ، ونسي الله ، لذلك لم يُلهَم السلطان أن يوقِّع على الكتاب ، فلما طرد هذا المسؤول قريبه شرَّ طردة ، وقطع الأمل منه لجأ إلى الله عزَّ وجلَّ ، وعندما أخلص رجاءه إلى الله أُلهم السلطان أن يوقِّع على الكتاب .

فالموعظة في هذه الواقعة مهمةٌ جداً.. كلما علقت الأمل على إنسان خاب ظنك ، لأن الله يغار أن تعلِّق الأمل بغيره ، أن تعتمد على غيره ، أن تنقاد إلى غيره ، أن تريق ماء وجهك لغيره ، فالمؤمن فيما بينه وبين الله ليبالغ في التذلل ، أما فيما بينه وبين الناس فليبالغ في العزَّة ، أنت مع الناس عزيزٌ ، أما فيما بينك وبين الله فأنت ذليل تقطعت بك الأسباب ، وهذا شأن المؤمن.. ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.. فقد قال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة : ٥٤] .

فالإنسان مع الله يتذلل ويمرِّغ جبهته في التراب ، أما حينما يقف

أمام إنسان فلْيَقفْ عزيز النفس ؛ لذلك رأى النبي عليه الصلاة والسلام أبادجانة في أُحُدٍ يمشي متبختراً ، فقال عليه الصلاة والسلام : « **إنها مشية يبغضها الله إلا في هذا الموضع** » .

المؤمن لا ينبغي له أن يضعف أمام كافر ، أن يتوسَّل إليه ، أن يتضعضع له . . من جلس إلى غنيٍّ فتضعضع له ذهب ثلثا دينه .

إذاً أول تطبيق عملي لهذا الاسم . . مادام الله هو القوي المتين اقطع الأمل ممَّن سواه ، فلا تجد مؤمناً صادقاً إلا وله مناجاة لله عزَّ وجلَّ يناجيه ، يسترضيه ، يستغفره ، يتوب إليه ، يسأله . . إنَّ الله يحبُّ من عبده أن يسأله حاجته كلَّها . . إنَّ الله يحبُّ من عبده أن يسأله مِلح طعامه . . إنَّ الله يحبُّ من العبد أن يسأله شسْعَ نعله إذا انقطع . . مَن لا يدعوني أغضب عليه ، إنَّ الله يحبُّ الملحِّين بالدعاء .

وقيل : « المتين**هو الكامل القوَّة ، الذي بلغت قدرته أقصى الغايات ، ولا يعجزه شيءٌ في الأرض ولا في السموات** » .

وقيل : « المتين **البالغ الشدَّة ، فالله شديد القوَّة والقدرة ، والله متمُّ قدرته ، وبالغٌ أمره** » .

وقيل : « المتين **المتناهي في المتانة ، يؤثِّر في الأشياء ولا تؤثِّر فيه الأشياء** » .

وذكر اسم المتين في القرآن الكريم مرةً واحدة في قوله تعالى في سورة الذاريات : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ .

ووصف كيده بأنَّه متين فقال تعالى : ﴿ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴾ .

وفي بعض الأدعية : إلهي أنت المتين المعين ، تمدُّ الوجود بالقوَّة ، وتجعل أحبابك في حصنٍ حصين ، أعطنا متانةً في أجسامنا

نصبر بها على الطاعة ، وامنحنا قوةً في قلوبنا نكن بها مع السنَّة والجماعة ، أعطنا مدداً من غيب قدرتك نهزم به النفس والشيطان والكفَّار وأهل العصيان إنَّك على كلِّ شيءٍ قدير .

يقولون : مَن علم أنَّ مولاه على كلِّ شيءٍ قدير قطع الرجاء مِمَّن سواه ، وأفرد له سرَّه ، كما قال الخليل إبراهيم عليه السلام . . ﴿رَبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ﴾ . . أراد أنِّي سهَّلت طريقهم إليك ، وقطعت رجاءهم عمَّن سواك ، ثم قال : ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ . . أي شغلتُهم بخدمتك خاصةً ، وأنت أولى بهم مني ومنهم . . لذلك قال : ﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾ . . أي إذا احتاجوا إلى شيء ذللت عبادك لهم فإنَّك على كلِّ شيءٍ قدير .

وهذا في الآية الكريمة :

﴿رَبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾ [إبراهيم : ٣٧] .

الإمام الجُنيد قال : سمعت السريَّ يقول : إنَّ في قُرى بغداد أولياء لله تعالى لا يعرفهم الخلق ، كنت أدور في قرى بغداد لعلِّي أرى منهم واحداً ، فقال له الإمام الجُنيد : هيهات أن تراهم ، ولكن كُن منهم تراهم وأنت في بيتك .

من تطبيقات هذا الاسم أنَّ اللائق بالإنسان ألا يغترَّ بقوَّته لأنَّه أمام قوَّة الله بلا حول ولا قوة ، بل يطالبه الأدب بإظهار الضعف أمام ربِّه القوي مهما كان المرء غنياً بقوته ، وأنت مهما كنت قوياً ، مهما كنت صحيحاً ، يجب أن تظهر ضعفك أمام الله عزَّ وجلَّ .

سيدنا عمر كان يوماً على المنبر يخطب وهو أمير المؤمنين ، فجأةً قطع الخطبة وقال : يا ابن الخطاب ـ يخاطب نفسه ـ كنت ترعى غنيماتٍ على قراريط لبني مخزوم . فهذا الكلام ليس له معنى إطلاقاً وليس له علاقة بالخطبة ، فلما نزل سأله عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما قال : يا أمير المؤمنين ما حملك على ما قلت ؟!! قال : قالت لي نفسي وأنا أخطب : أنت أمير المؤمنين ، ليس بينك وبين الله أحد ـ أنت القِمّة ـ فأردْتُ أن أعرِّف نفسي حقيقتها ـ أن أحجِّمها ـ .

فإذا كنت ضعيفاً وربَّك قوي متين فلا تخف . فأنت عبد القوي ، عبد المتين ، وإذا أعطاك ربّك قوة فكنت قوياً ، والقوة لله وحده فلا تغتر بقوَّتك لأنَّ الله ـ عزَّ وجلَّ ـ كما يدهش في العطاء يدهش في الأخذ .

فكان سيِّدنا عمر يقول : اللهمَّ كبرت سنِّي وضعفت قوَّتي ، وإنَّه لا حول ولا قوة إلا بالله .

وكان من النبي عليه الصلاة والسلام يقول : « **إذا اشتكيت فضع يدك حيث تشتكي ثم قل : بسم الله أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ماأجد من وجعي هذا ثم ارفع يدك ثم أعد ذلك وتراً** » [رواه الترمذي والحاكم] .

والآن لديّ تعليقٌ دقيقٌ أتمنى أن تدقق النظر وتقلبه معي قالوا : هذا الاسم ؛ اسم القوي المتين لا يتعارض مع سعي الإنسان ليكون قوياً لأنَّ الله عزَّ وجلَّ يقول :

﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى

سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال : ٦٠] .

﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ . . أي أن ضعفك وتذللك وافتقارك ، وعبوديتك ، وتمريغ وجهك في التراب تواضعاً لله عزَّ وجلَّ ، فليكن هذا فيما بينك وبين الله ، أمّا أمام أهل الدنيا ، أمام المنحرفين ، أمام المشركين فيجب أن تظهر قوياً فقد قال تعالى :

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الشورى : ٣٩ـ٤٠] .

قال تعالى : ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ ، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول :

« **الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلا تَعْجَزْ ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا ، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ** » [صحيح مسلم] .

« **رحم الله امرءاً أراهم اليوم من نفسه قوةً** » روي أنه قالها عليه الصلاة والسلام لأصحابه في عمرة القضاء .

هذا افتقارك فيما بينك وبين الله ، الصحابة كانوا في الليل رهباناً ، أما في النهار فهم فرسان ، أما إذا تمسكن الإنسان أمام الناس وأظهر الضعف أمامهم فحنى ظهره مثلاً . . فقد باء خاسراً مهزوماً . وفي عهد عمر بن الخطاب كان من حنى ظهره علاه عمر بالدّرة وقال له : ارفع رأسك يا أخي فقد أمتَّ علينا ديننا .

فالإنسان ينبغي أن يسير رافع الرأس ، ينبغي أن يظهر أنَّه قوي ، أما فيما بينه وبين الله فإنه يتذلل .

يروى أنَّ سيدنا عمر كان شديداً جداً حتى إن الناس اشتكوا شدته ، فجاءه أبو ذر وقال له : إنَّ الناس هابوا شدَّتك يا أخي . فقال له : والله يا أبا ذر لو يعلم الناس ما في قلبي من الرحمة لأخذوا عباءتي هذه ، ولكنَّ هذا الأمر لا يناسبه إلا كما ترى .

إذاً : « **المؤمن القوي خيرٌ وأحبُّ إلى الله تعالى من المؤمن الضعيف ، وفي كلٍّ خير** » .

يذكر الإمام البخاري : في باب قول الله تعالى : ﴿الحج أشهر معلومات﴾ أنَّ من صفة أصحاب رسول الله ﷺ أنَّهم كانوا أهل قوَّة ، وطريق القوَّة والمتانة هو طريق الله ، لأنَّ الكتاب الإلهي حبل الله المتين ، ودينه هو الدين المتين .

« **إذا أردت أن تكون أقوى الناس فتوكَّل على الله ، وإذا أردت أن تكون أغنى الناس فكن بما في يد الله أوثق منك بما في يديك ، وإذا أردت أن تكون أكرم الناس فاتقِ الله** » .

تجد الإنسان أحياناً من ضعف إيمانه ومن ضعف توحيده يعلِّق الآمال بالآخرين ، ويعلِّق الآمال بكفَّار ، يريقُ ماء وجهه دونهم ، ويتذلل لهم ، ويتمسكن أمامهم ، فيسقط من عيونهم وقد سقط من عين الله قبل أن يسقط من أعينهم .

لأن يسقط الإنسان من السماء إلى الأرض فتتحطم أضلاعه أهون من أن يسقط من عين الله .

قالت العلماء : ويعاب عليك أن تشكو الرحيم إلى الذي لا يرحم:

وإذا شكوت إلى ابن آدم إنما تشكو الرحيم إلى الذي لايرحم

فكلما قوي إيمان الإنسان يصبح عزيزاً ، ويصبح رافع الرأس ، وكُلّما قوي إيمانه زاد اعتماده على الله وهو أهل التقوى وأهل المغفرة ، وقال تعالى :

﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴾ [الطلاق : ٣] .

اللهمَّ ! أعنّا على دوام ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ، وارزقنا الشوق إلى لقائك ولذَّة النظر إلى وجهك الكريم ، اللهمَّ! أرنا الحقَّ حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا مِمَّنْ يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين ، وصلَّى الله على سيِّدنا محمدٍ النبيِّ الأميّ وعلى آلهِ وصحبه وسَلَّم .

* * *